رأيتكن أكثر أهل النار

الأحد 11 سبتمبر 2016 11:09 م

د. فتحى أبو الورد:

فى عيد أضحى أو فطر كما لم يجزم الراوى ، خرج الإمام البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدري قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: "يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار" . فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: "تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن "قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل" قلن: بلى قال:"فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟" قلن: بلى. قال: "فذلك من نقصان دينها".

يردد البعض هذا ، ويحلو له أن يفهم منه ما يشاء ، ويتخذ منه دليلا على انتقاص الإسلام للمرأة، ومطعنًا على كمال أهليتها ، والحق أن الأمر ليس كذلك ، وأن كمال أهلية المرأة هو موقف الشريعة منها ، وما فهمه البعض خطأ هنا يتعلق بثلاث قضايا : الأولى: أن النساء أكثر أهل النار ، والثانية: أن النساء ناقصات عقل، والثالثة : أن النساء ناقصات دين .

أما القضية الأولى ففى قوله صلى الله عليه وسلم: "إني أريتكن أكثر أهل النار" وجاء فى رواية أخرى عن ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما، بلفظ: (أريت النار فرأيت أكثر أهلها النساء) أى أن الله تعالى أراني إياكن أكثر أهل النار في ليلة الإسراء ، وهذا الحديث لا يلزم منه أن تكون نساء النار التي اطلع عليها من صحابياته أو حتى من المسلمات لما هو معلوم من أن أمة المسلمين بكاملها قليلة العدد جدًا بالنسبة إلى مجموع الخلق.

حتى وإن كان المقصود بالحديث النساء المسلمات فلعل هذا قبل وقوع شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم كما ذهب إلى ذلك بدر الدين العينى فى عمدة القارى شرح صحيح البخارى.

ثم هل النساء أكثر أهل النار لأن الشر غالب على فطرتهن من دون الرجال؟ كما يتساءل الأستاذ عبد الحليم أبو شقة فى رائعته " تحرير المرأة فى عصر الرسالة " ، ولو كان الأمر كذلك لكنَّ غير مسئولات عن الزيادة في فعل الشر، إذ كيف يحاسبن على شىء ليس لهن فيه حيلة ولا يد !! والحديث يقرر أنهن مسئولات ويعاقبن بما كسبت أيديهن من كفر العشير وكفر الإحسان.

وكفران النعمة أى سترها بترك أداء شكرها، والمراد يجحدن نعمة الزوج ويستقللن ما كان منه ، كما يقول بدر الدين العينى. وقال ابن بطال فى شرحه لصحيح البخارى : فى الحديث دليل أن الكلام القبيح من اللعن والسخط مما يعذب الله عليه.

وما يستقيم معه الفهم السليم هو أن الحديث يقصد حالات خاصة لنساء لهن صفات خاصة، هي التي جعلت منهن أكثر أهل النار، لا لأنهن نساء، وإنما لأنهن ـ كما تعلل الرواية ـ "يكفرن العشير" ولو أحسن هذا العشير إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منه هنة أو شيئًا لا يعجبها كفرت ـ كفر نعمة ـ بكل النعم التي أنعم عليها بها، وقالت بسبب النزق أو غلبة العاطفة ما قدمه لها هذا العشير من إحسان "ما رأيت منك خيرًا قط" ، كما يقول المفكر الإسلامى الدكتور محمد عمارة.

ويؤيد ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر: وقع في حديث جابر ما يدل على أن المرئي في النار من النساء من اتصفت بصفات ذميمة ذكرت ولفظه: "وأكثر من رأيت فيها من النساء اللاتي إن اؤتمن أفشين، وإن سئلن بخلن، وإن سئلن ألحفن، وإن أعطين لم يشكرن ". ومن المعلوم أن السنة يفسر بعضها بعضا ، وتوضح نصوصها نصوصا أخرى منها.

وفى كل الأحوال فقد أمرهن النبى صلى الله عليه وسلم بالصدقة لأن الصدقة تطفىء غضب الرب، حتى قال ابن بطال: فى الحديث دليل أن الصدقة تكفر الذنوب التى بين المخلوقين.

وقـد فعلن امتثالا واحتسابا، فجعلت المرأة تلقي القرط " كما جاء فى روايات أخرى أي تتصدق بالقرط - الحلق - والخاتم، "وبلال يأخذ في طرف ثـوبه " أي يجمع هـذه الحلي والصـدقات لتـدفع لمسـتحقيها والرجـال والنسـاء سواء فى الحث على فعل الخيرات وترك المنكرات والتصدق

ومن المعلوم أن ما خص به النساء من موعظة فى نفس يوم العيد كان بعد الخطبة العامة للرجال والنساء واللائى حضرنها ، وزاد عليه ما يناسب شأنهن عندما خطر بباله أن صوته لم يصل إلى مسامع النساء لجلوسهن خلف الرجال بالمصلى في عيد الفطر

أما القضيتان الثانية والثالثة: أن النساء ناقصات عقل، وأنهن ناقصات دين فلذلك حديث قادم بإذن الله إذا أنسأ الله فى الأجل .

المقالات المنشورة في نافذة مصر تعبر عن رأي كتابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي الموقع